

قضايا تربية الناشئة والتعليم في صحافة رواد الإصلاح (1903م - 1925م).

Issues of education in the journalism of reform pioneers (1903-1925).

د. مولود قرين¹

جامعة الدكتور يحي فارس المدينة، الجزائر

mouloudgrine@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/06/27 القبول 2022/09/21 النشر على الخط 2023/01/20

Received 27/06/2022 Accepted 21/09/2021 Published online 20/01/2023

ملخص:

تحاول الورقة البحثية تسليط الضوء على أبرز قضية تناولتها الصحافة الإصلاحية في الجزائر، خاصة في مطلع القرن العشرين، وهي قضية تربية الناشئة، بغرس تعاليم تربوية صحيحة وسليمة في نفوسهم، وكذا التعليم الذي ينتشلهم من براثن الجهل الذي كرسه السياسة الاستعمارية في الجزائر. فالمتصفح لأعداد الصحف العربية سيما الصادرة (1903-1925) يلاحظ بأنه لا يكاد يخلو عدد من مقال ينبه للدور الخطير للتربية والتعليم بهدف النهوض بالمجتمع والرقى به، حتى يصبح مدركا للمشروع الاستعماري قادرا على احباطه.

وتتمحور إشكالية الموضوع حول مدى إدراك الرواد المصلحين لمسألة التربية والتعليم، وكذا الكشف عن طيبة التعليم الذي دعوا إليه.

الكلمات المفتاحية: الحركة الإصلاحية، الصحافة العربية، رواد الإصلاح، التربية والتعليم، المشروع التغريبي.

Abstract:

The research paper attempts to shed light on the most prominent issue dealt with by the reformist press in Algeria, especially at the beginning of the twentieth century, which is the issue of educating young people, by instilling correct and sound educational teachings in their souls, as well as the education that lifts them out of the clutches of ignorance sanctioned by the colonial policy in Algeria. The reader of the issues of Arab newspapers, especially those issued (1903-1925), notes that there is hardly a number of articles that point out the dangerous role of education in order to advance and advance society, until he becomes aware of the colonial project and is able to thwart it.

The problem of the topic revolves around the extent to which the reform pioneers were aware of the issue of education, as well as revealing the medical education that they called for.

Keywords: The reform movement, the Arab press, the reform pioneers, education, the Westernization project.

1. مقدمة:

مما لاشك الوضعية المزرية للثقافة والتعليم في الجزائر منذ بداية الاحتلال، واقتصاره على الكولون، وعلى أبناء بعض العائلات المرتقية في أحضان الإدارة الاستعمارية، جعلت من هذا الأخير يشغل حيزا كبيرا من اهتمامات المصلحين الجزائريين، من خلال كتابتهم الصحفية، فكانوا يعتقدون بأنه لا نهضة لأمة بدون تعليم وتربية، فمشروعهم النهضوي كله ارتكز على هذه النقطة الحيوية في المجتمع. لذلك ثاروا - في وقت مبكر - من خلال كتاباتهم على النظم التربوية البالية، وعلى الجهل الذي يتخبط فيه السواد الأعظم من الناشئة الجزائرية، وناشدوا إدارة الاحتلال من أجل نشر التعليم بين أبناء المسلمين، واثاحت لهم نفس الفرص التي يتمتع بها أوروبيو الجزائر. فما طبيعة النظام التربوي والتعليمي الذي دعوا إليه؟ وهل تمكنوا من تجسيده ميدانياً. هذا ما ستحاول الإجابة عنه هذه الورقية البحثية من خلال تحليل مضمون الصحافة الإصلاحية (1903م-1925م).

وقد جعلنا حدود الدراسة تبدأ من 1903م، وتنتهي سنة 1925م، كون أن سنة 1903م ترتبط بميلاد جريدة المغرب (1903م-1904م)، أما سنة 1925م، فهي السنة التي أنشأ فيها الشيخ "عبد الحميد بن باديس" جريدة "المنتقد"، التي التف حولها علماء ومصلحو الجزائر، وكونوا النواة الأولى لميلاد جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م. وقبل تحليل مضمون هذه الصحف وإبراز مظاهر الدعوة إلى التربية والتعليم، بودنا أن نبين، المقصود برواد الإصلاح وأشهرهم، وأهم صحفهم خلال هذه الفترة.

2. رواد الإصلاح في الجزائر وأشهر صحفهم:

يقصد برواد الإصلاح الجزائري في مطلع القرن 20م، مجموعة المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية، أو مزدوجي الثقافة، كان أغلبهم متخرجاً من الحواضر العلمية من المشرق (الأزهر، الزيتونة، الحجاز)، أو من المغرب (القرويين)، والبعض الآخر متخرجاً من زويا وكتاتيب الجزائر. وهناك من الباحثين في الفكر الإصلاحي الجزائري، أن هؤلاء امتداد لنظرائهم في العالم الإسلامي، فحركة الإصلاح الجزائري هي امتداد لحركة الإصلاح والنهضة في العالم العربي والإسلامي في أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20م¹.

ولعلّ أبرز من تأثروا به الشيخ "محمد عبده" الذي زار الجزائر سنة 1903م، وكانت فلسفة "عبده" الإصلاحية، تقوم على التربية والتعليم، ونبد السياسة، لأن السياسة في نظره، كلّمّا "دخلت أمراً إلا وأفسدته"²، وهذا ما يفسر اهتمامهم بالإصلاح وإعراضهم عن السياسة.

وما يميز رواد الإصلاح في الجزائر في مطلع القرن الماضي، هو وجود تيارين، التيار الأول يسمى "بالإصلاح الرسمي"، الذي يتشكل من العلماء الموظفين في الإدارة الاستعمارية، كمدرسين، مفتيين، وأئمة وقضاة، أما التيار الثاني فهو "الإصلاح الحر"، يتشكل من المصلحين الأحرار الذين رفضوا الوظيفة الرسمية، بل انتقدوها واعتبروها مقيدة لعمل المصلح. ومن أقطاب التيار الأول،

¹ - نور الدين ثنيو، الحركة الإصلاحية الجزائرية، بحوث ووثائق، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2018م، ص 11. وكذلك:

Ahmed Sarri, Histoire et politique L'Association des Ulama Musulmans Algériens et l'administration française en Algérie 1931-1956, pr : Allaoua Amar, Dar Elhouda, Algérie, p26.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900م)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 115.

شيخ الجماعة "عبد القادر المجاوي" (1848-1914م)¹ و"المولود بن الموهوب" (1866-1936م)²، "محمد بن مصطفى بن خوجة" (1865-1915م)³، "عبد الحليم بن سماية" (1866-1933م)⁴ وغيرهم.

من أقطاب الإصلاح الحر نجد "عمر بن قدور الجزائري" (1886-1932)⁵، و"عمر راسم" (1884-1959م)⁶، والشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) وغيره من العلماء والمصلحين الذين التفوا حوله.

اعتمد رواد الإصلاح في نشر أفكارهم وتبليغ رسالتهم على الكتابة الصحفية، فأنشأوا مجموعة من الصحف لعل أبرزها: جريدة المغرب (1903-1904م)، التي تعتبر أول جريدة عربية غير حكومية في الجزائر، أسست من طرف الفرنسي المستعرب "بيير فونتانا"، وهي "جريدة سياسية اقتصادية علمية أدبية تجارية تصدر يومي الثلاثاء والجمعة". ظهر عددها الأول يوم 10 أبريل 1903م، وذكر صاحب إمتيازها "فونتانا" أن إنشاء جريدة "المغرب" باللغة العربية المحضة كان نتيجة افتقار الجزائر لجريدة عربية عدا الجريدة الرسمية". ونتيجة للمقالات الإصلاحية التي نشرت بين ثنايا الجريدة فإنها تمكنت من "سد الفراغ الكبير بالنسبة

¹ - عبد القادر المجاوي: ولد في تلمسان في أسرة اشتهرت بالعلم والأدب، درس "بطنجة" في بلاد المغرب الأقصى ثم "تطوان" ثم في جامع "القرويين"، عاد الى الجزائر عام 1876م، عين مدرسا في جامع "سيدي الكتاني" بقسنطينة، ثم استادا بمدريستها الحكومية، وبعدها انتقل الى العاصمة حيث عين أستاذا "بالمدرسة الرسمية" وفي نفس الوقت كان إماما واعظا في مسجد "سيدي رمضان" له عدة مؤلفات أهمها: "اللمع في إنكار البدع" و"إرشاد المتعلمين في مبادئ العلوم" و"شرح الجمل النحوية... الخ، للمزيد انظر: - محمد علي دبو، نضمة الجزائر وثورتها المباركة، ج1، ط2، م.ش.ج، الجزائر 2007م، ص 104 وما بعدها.

² - المولود بن الموهوب: هو محمد المولود بن الموهوب، ولد في قسنطينة، ومن أهم أعماله تأسيس نادي "صالح باي" حيث يلقي المحاضرات الثقافية، كان في نفس الوقت يلقي دروس الوعظ والإرشاد في "الجامع الأخضر"، عينته الإدارة الفرنسية سنة 1895م أستاذاً للدراسات الإسلامية "بسيدي الكتاني" بقسنطينة، وفي سنة 1908م عينته مفتي المذهب المالكي بنفس المدينة، وقد ساهم بن الموهوب بشعره وكتاباته الصحفية وبتدريسه العلمية مساهمة كبيرة في اليقظة الجزائرية للمزيد انظر:- سعد الله، المرجع السابق، ج2، ط4، ص ص 155-157.

³ - مصطفى بن خوجة: ولد في مدينة الجزائر سنة 1865م، تلقى بن خوجة تعليماً دينياً ودينياً في الجزائر عرف بكتاباته الصحفية في جريدة المبشر وفي جريدة المغرب، عين مدرسا في جامع السفير سنة 1895م، وفي سنة 1913م عين وكيلاً على ضريح عبد الرحمن الثعالبي، ومن أهم تأليفه كتاب "الاكتراث في حقوق الإناث"، انظر:- إبراهيم لوني، "محمد بن مصطفى بن خوجة: حياته وأفكاره (1865-1915م)، مجلة عصور، ع2، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ديسمبر 2002م، ص 60.

⁴ - عبد الحليم بن سماية: ولد سنة 1866م من ولدين يرجع أصلهما إلى أتراك أزمير، كان ذو شخصية قوية، درّس الفلسفة "بالمدرسة الرسمية" ابتداء من 1896م، وفي سنة 1900م أسندت له مهمة التدريس في الجامع الجديد له عدة مؤلفات أهمها "فلسفة الإسلام" و"اهتزاز الأطوار... الخ، توفي سنة 1933م، للمزيد انظر:- عبد الرحمان الجيلالي، "جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي"، مجلة الأصاله، ع13، مارس-أفريل 1973م، ص 199 وما بعدها.

⁵ - ولد في الأرباء ضواحي العاصمة، تتلمذ على يد كبار المصلحين الجزائريين وتأثر بهم مثل المجاوي وبن سماية وبن زكري، هاجر إلى مصر وإلى تونس وتأثر بنخبة القطرين، امتهن مهنة الصحافة في سن مبكرة حتى لقب برائد الصحافة في الجزائر، كتب في الكثير من الدوريات المشرقية والمغربية، وفي الجزائر أنشأ جريدة الفاروق 1913م دعا من خلالها للإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي، وكذلك جريدة الصديق سنة 1920م، وإلى جانب اهتمامه بقضايا العالم الإسلامي، للمزيد انظر: مولود قرين، عمر بن قدور الجزائري ودوره في الحركة الوطنية، ج1، مطبعة الخليل العلمية، الجزائر، 2013م.

⁶ - عمر راسم: هو مصلح وصحفي ورسام جزائري، شارك بقلمه في عدة صحف عربية خاصة في الصحف التونسية، أصدر في الجزائر عدة صحف أهمها: "الإصلاح" و"الجزائر" سنة 1909م، و"ذو الفقار" سنة 1913م، وخلال الحرب العالمية الأولى حكم عليه بالسجن والأعمال الشاقة، وبعد خروجه من السجن اعتزل السياسة وأنشأ مدرسة لتعليم فن الرسم والزخرفة العربية، للمزيد انظر: محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، م.و.ك، الجزائر، 1984م، ص ص 13-17.

لجمهور المتعاطش للاعتراف من ينابيع العلم والمعرفة"¹. ونظرا لأهميتها فإن "عبده" لما زار الجزائر سنة 1903م قال عنها: "...وهي على قبح ورقها، وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم بعض أحوال الناس، وشؤون الاجتماع فتمنى لها دوام القصد والرواج في تلك البلاد"². ورغم عزوف الجريدة عن السياسة أو ذكر ما يسيء للإدارة الاستعمارية بل وحتى تملقها للإدارة في كثير من الأحيان، يشفع لها من التعطيل، فلم تمض سنة واحدة حتى عطّلت، لذلك كتب أحدهم في جريدة "المصباح" متحدثا عن جريدة المغرب: "إنه لم يلتفت له البعض حتى انقطع دونه الأثر، وحذف الخبر، وهذا حال قطرنا الجزائري من الجرائد"³.

جريدة كوكب إفريقيا (1907-1914م) صدرت هي الأخرى بمدينة الجزائر سنة 1907م⁴، لصاحبها "محمد بن دالي كحول"، وهي "جريدة أسبوعية أدبية علمية فلاحية تجارية تصدر كل جمعة"⁵، وصفها الشيخ "المدني" بأنها جريدة "راقية ومحرة بأقلام بليغة"، أما "بن قدور" فيعتبرها كباقي الجرائد الرسمية "عارية من كل صبغة وطنية"⁶. ولكن رغم طابعها الرسمي وتملقها المفرط للسياسة الاستعمارية إلا أنها عنيت بنشر المقالات الاجتماعية والدينية والتربوية الداعية إلى النهضة والتجديد والتخلص من مظاهر الجمود.

ومن أشهر الجرائد جريدة الفاروق (السلسلة الأولى 1913-1915م والثانية 1921م)، إذ تشير بعض الدراسات أن جريدة "الفاروق" أنشأها "عمر بن قدور" بالتعاون مع "عمر راسم"⁷، ثم انفرد بها "بن قدور" لوحده، وقد ظهر العدد الأول منها يوم 28 فيفري 1913م⁸. وهي جريدة أسبوعية إخبارية مصورة، تظهر كل يوم جمعة⁹. وبعد أن صدرت من الفاروق ستة

¹ - لقد كانت المقالات المنشورة في الجريدة تخضع لما يشبه اليوم لتحكيم الخبرة من طرف لجنة متكونة من خيرة العلماء للنظر لما يردها من مراسلات من كتاب وأدباء القطر، وكانت اللجنة تتكون من: علي بوضربة، والفقير السيد محمد بن مصطفى والشيخ عبد القادر الجاوي وعمر بن بريهمات ومصطفى الشرشالي، انظر:- المغرب، ع 10، 12 ماي 1903م.

² - ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط 2، ألفا ديزاين، الجزائر، 2000م، ص 30.

³ - نفسه.

⁴ - انظر ترخيص الإدارة الفرنسية لانشائها في:

- A.N.T, SERIE, E, Carton, 532, DN° 2/ 11

⁵ - كوكب إفريقيا، ع 1، 17 ماي 1907م.

⁶ - الصديق، ع 52، 06-03-1922.

⁷ - أشارت جريدة "الحق الوهراني" في جويلية 1912م أنه سيتم إصدار جريدة عربية تسمى "الفاروق" من طرف "عمر راسم"، وسيشارك فيها كل كتاب الجزائر الجزائر بالعربية، انظر:- جريدة الحق الوهراني، ع 39، من 6 إلى 13 جويلية 1912م. غير أن اسم "راسم" لم يظهر على صفحات جريدة الفاروق، ويبدو أن عدم تضافر جهود الطرفين تعود إلى تخوف بن قدور من أسلوب راسم الثوري الناقم على الأوضاع بكل أشكالها، لذلك صرح أنه يخالف ذو الفقار في أسلوبها ومشربها، أنظر:- عبد الحميد ساحل، أصول الفكرة الإصلاحية من خلال الصحافة الجزائرية 1903-1925م، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2000م-2001، ص 156.

⁸ - يجعلها كل من المدني، وسعد الله تصدر سنة 1912م، انظر:

- المدني، كتاب الجزائر، ط 2، م. و. ك. الجزائر 1984م، ص 369. وكذلك: سعد الله، الحركة، ج 2، ص 135.

⁹ - ابتداء من العدد 51 أصبحت تصدر كل اثنين.

وتسعون(96)عددًا¹، أي بعد مضي سنتين من الصدور، عطلت الجريدة ونفي صاحبها إلى "الأغواط". ولكن بعد عودته من المنفى أعاد الكرة، و أنشأ السلسلة الثانية من الفاروق، في شكل "مجلة أسبوعية"²، واستمرت إلى غاية 1921م، حيث توقفت نهائيا، وقام "بن قدور" بتقديم اعتذاره عن توقفها قائلا: "...بناء على ما تحرض به المتحرضون واقتراه المفترون من إصاق ونسبة مقالات نشرت في التقدم إلي، فإني أعلن صراحة بأني عطلت الفاروق، وفارقت السياسة، واجتنبت كل خوض فيما يخص الجرائد، ولازمت العزلة التامة...".

قبل إصدار "بن قدور" السلسلة الثانية من الفاروق، كان قد التقى "محمد بن بكير"³ عام 1920م في تونس، حيث رتب لقاءهما "إسماعيل علاوة" من قسنطينة، واتفقا على إصدار جريدة سميت بالصديق (1920-1921م) في الجزائر. وبعد مضي شهرين اجتمعا ثانية واشترى مطبعة بقيمة خمسين ألف (50000) فرنك فرنسي⁴ لطبع جريدتهما الجديدة، التي سميت "بالصديق" تيمنا بالخليفة الأول "أبي بكر الصديق". ظهر العدد الأول منها يوم الجمعة 12 أوت 1920م، وهي "جريدة علمية أدبية سياسية اقتصادية، تصدر مرتين في الأسبوع في يوم الجمعة والإثنين"⁵. تولى إدارتها ورئاسة تحريرها "بن قدور"، أما "بن بكير" فقد كان وكيلها ومتصرفها الإداري⁶. أما أهدافها فقد حددت في العدد الأول من الجريدة وهي: "الدعوة إلى التعارف، وإقامة النصوص الدينية، وتهذيب الأخلاق، ونشر المعارف والعلوم العربية، وتأسيس المشاريع العلمية والاقتصادية"⁷. ولكن "بن قدور" لم يستمر طويلا في هذه الجريدة، فسرعان ما تركها وهي في عددها السابع مفضلا إعادة إصدار فاروقه مرة أخرى، ليتولى رئاسة تحريرها "المولود بن محمد الزرربي" الذي استمر فيها إلى غاية توقفها نهائيا عام 1922م بسبب مضايقات الإدارة الاستعمارية⁸.

ومن الصحف التي كانت بمثابة اللبنة الرئيسية للحركة الإصلاحية الجزائرية، جريدة "المنتقد" (1925م)، التي يبدو أنها سميت بهذا الاسم للرد على شعار الطرفين القائل "اعتقد ولا تنتقد"، وهي جريدة أسبوعية "سياسية تهذيبية انتقادية" صدرت في قسنطينة يوم 02 جويلية 1925م، وقد اسند "ابن باديس" إدارتها "لأحمد بوشمال". حملت شعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"⁹، وقد حددت مبادئها وأهدافها في افتتاحية العدد الأول، فسياسيا تسعى الجريدة إلى "لم شعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة

¹ - الفاروق، ع 96، 27 جانفي 1915م.

² - أنظر: السلسلة الثانية من مجلة الفاروق، ع 1، 8 أكتوبر 1920م.

³ - محمد بن بكير: من مواليد "بني يسقن" كان محدود الثقافة، ولكنه يتمتع بغيرة وطنية حارة، يعد من الأوائل في تأسيس أول مدرسة نظامية في "تبسة" سنة 1913م، انظر: - ناصر، الصحف، ص 51.

⁴ - Relations entre Les Nationalistes Algériens et Tunisiens, in: A .N.T,M N C/9 D2.

⁵ - جريدة الصديق، ع 01، 12 أوت 1920.

⁶ - A.N.T,op-cit.

⁷ - الصديق، ع 1، مصدر سابق.

⁸ - ناصر، نفسه، ص 20.

⁹ - المنتقد، ع 1، 02 جويلية 1925م.

والنفع للإنسانية¹. أما مبدؤها التهذيبي فيتمثل في نشر الآداب والعلم الصحيح ومحاربة البدع والخرافات حتى تستقيم السلوك، أما مبدأ الجريدة الانتقادي فإنها ستناهض "المفسدين والمستبدين... وتنصر الضعيف والمظلوم بنشر شكواه والتبديد بظالمه"².

لقد سارت الجريدة على هذا النهج، إذ أولت أهمية كبيرة للجانب الإصلاحي والتهذيبي بهدف تنوير أبناء الأمة بالتحاليم الدينية الصحيحة، وانتقدت بشدة الطرقيين وخزعلاتهم، والمتفرنجين وتنطعهم، أما سياسيا فقد كانت تطالب المستعمر بالعدل والمساواة بين المواطن الجزائري والمواطن الفرنسي في الحقوق والواجبات. ونتيجة لشدة لهجتها وذبوع صيتها في كل أرجاء الوطن لم تتوان الإدارة الاستعمارية في كتم أنفاسها بعد صدور عددها الثامن عشر بموجب قرار أصدرته الحكومة الفرنسية بباريس يوم 3 أكتوبر 1925م³.

3. تربية الناشئة في برنامج صحافة الرواد المصلحين:

يعتقد رواد النهضة في الجزائر أن قوام الإصلاح التربوي هو غرس التربية الصحيحة المبنية على القيم الحميدة في نفوس الناشئة الجزائرية، فالتربية الحسنة هي أساس التعلم، وهي أساس بناء الشخصية الفعالة في المجتمع. لذلك عبرت عن استيائها من ظاهرة تشرد الأطفال، واستغلالهم في الأعمال الشاقة، لا سيما الظاهرة التي انتشرت بشكل رهيب منذ بداية القرن 20 والمتمثلة في تلميع الأحذية مقابل أجر زهيد، لذلك حاول رواد الإصلاح الأوائل أن يأسسوا بما طرحوه من أفكار لمنهج تربوي قائم على أساس غرس القيم والأخلاق الإسلامية في نفوس الناشئة الإسلامية. فالتربية الصحيحة هي الكفيلة بمنعهم من الوقوع في الرذيلة الأخلاقية والانحراف، والأسرة هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن ذلك، وهذا ما نلمسه في شكل واضح عند الشيخ "عبد القادر المجاوي" الذي دعا الأولياء إلى الامام بالأساليب القويمة للتربية ومتابعة أبنائهم وغرس الفضيلة الأخلاقية فيهم من أجل تكوين جيل صالح إلى معترك الحياة، مثلما كان سلفهم "الذين استجمعوا مزايا التربية وشبّوا عليها، فنشأوا رجالاً لهم اليد الطولى مدنية وفخارا وإكمالا واقتدارا، حتى عدوا منبعاً من منابع العرفان ومثالا من الصنائع والفنون"⁴. فالفرق بين هذا الجيل وجيل الأسلاف، في نظر المجاوي، يكمن في اهتمامهم بالتربية التي "جعلت طينتهم معجونة بماء النشاط وطينتنا مسقاة بماء الكسل وحب التقاعد وسبحان من لا يسأل عما يفعل"⁵.

أما "عبد الحليم بن سماية" فقد أدرك هو الآخر أهمية التربية في بناء الفرد والمجتمع، لذلك كان لا يفوت فرصة إلا ويحث الأولياء على تربية أولادهم على حب التعلم، بتحببهم في العلم، والتقرب من العلماء، ويحثهم في ذات الوقت على تخصيص أوقات

1 - نفسه.

2 - نفسه.

(3) - يشبهه رابع تركي عمارة جريدة المنتقد بجريدة "العروة الوثقى" نظرا لأهميتها ومدى تأثيرها في نشر الفكر الإصلاحي، وكذلك في عدد أعدادها (18 عددا)، انظر:

- رابع تركي عمارة، "مجلة الشهاب للشيخ عبد الحميد بن باديس لسان الإسلام والعروبة في الجزائر (1925م-1939م)"، مجلة الذاكرة، ع 05، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، أوت 1998م، ص 119.

4- المجاوي، "التربية"، كوكب إفريقيا، ع 34، 3 جانفي 1908.

5 - نفسه.

للحديث مع أولادهم، مبرزا الأسس السليمة للتربية القويمة المتمثلة في العطف والتعامل بالرفق واللين، فمحدثهم تكون حسب ما ذكره "ابن سماية" "محادثة العاقل للعاقل لا محادثة احتقار كما يفعله كثير من الكبار مع الصغار، فإن ذلك مميت لقرائحهم وموقف لتقدمهم، فيبسطهم ويشرح صدورهم لألا يسأموه فيفوت الانتفاع فيسألهم عما فعلوا وما قالوا فإن رأى حسناً أثنى عليه وذكر لهم نتيجة ذلك الفعل الحسن أو القول اللطيف وبشرهم أن من وازب على ذلك صار كذا واستحق كذا، وإن رأى سيئاً لام عليه من غير تطويل في الملام ويبين لهم عاقبة ذلك الفعل السيئ وما يجز إليه، وإن كان له حكاية يعتبر بها ذكرها للاعتبار والاتعاظ بها، فمن وازب على هذه الطريقة فما يكبر ولده إلا وأعد من صلبه حبيبا ومعيناً وقرّة عين، ومن اتخذ مع أولاده كلمة أف واللح لهم بنصف الطرف وضرب العصا عوضاً عن ملك قلوبهم بلطف الأقوال وجميل الأعمال فلا غرو أن يفوته الغرض منهم ولا يحصل على طائل وينتجون بهائم من شدة ضغطه على قلوبهم وقهره لأحاسيسهم...¹.

وهذا ما أكدّه كذلك المفتي "ابن دالي" (كحول) الذي ذكر بأن التربية السليمة تكون باللطف واللين وليس بالتعنيف والضرب، فالتأديب يكون "مقروناً بالتودد والسكينة ليفهم الطفل ويدرك مؤداه ويدعن لقبوله لا عن رهبة وخوف"².

نجد كذلك "عمر بن قدور" قد اهتم بموضوع التربية في كثير من مقالاته خاصة في جريدة الفاروق، لأن المشكلة في نظره تولد مشاكل خطيرة على المجتمع، لذلك فإن "الأطفال الذين يتركون بدون تعليم" مصيبة على الشعب وحملات ثقيلة على المجتمع البشري³، لذلك كان يجزم بأن الشعب الذي لا يهتم بربية أبنائه، ولا يأبه لمستقبلهم شعب غبي، وجامد، بل وصفه بغير المسلم، حيث قال: "...إن المسلم يلد ولكن شقي يلد شقياً وجاهل يلد جاهلاً، وما جعل الله المسلم شقياً جاهلاً إلا لما كان غير مسلم عملاً وقولاً بل اتخذ غير الإسلام ديناً وأخرج مولده فظاً غليظاً..."⁴.

والظاهر أن تربية الأطفال لا تقتصر على دور الأبوين والمجتمع فقط، فالمرحلة الثانية من تربية الناشئة منوطة بالمدرسة وبالتعليم الذي يبدو أن رواد الإصلاح قد راهنوا عليه في مشروعهم النهضوي لذلك شغل موضوع التعليم حيزاً كبيراً من اهتمامات صحافتهم.

4. التعليم أساس النهضة في منظور المصلحين الجزائريين:

أخذت مسألة الدعوة إلى التعليم حيزاً معتبراً في خطابات النخبة المعربة على اختلاف انتماءاتها سواء الرسمية أو الحرة، الإصلاحية أو المنتمية إلى الزوايا، فكان التعليم في نظرها الوسيلة الوحيدة لتحقيق النهضة والرقى بالمجتمع الجزائري، لذلك ثاروا من خلال كتاباتهم على النظم التربوية البالية، وعلى الجهل الذي يتخبط فيه السواد الأعظم من الناشئة الجزائرية.

ومن بين رواد النهضة الأوائل الذين حاولوا إدخال الإصلاح على المؤسسات الثقافية التقليدية خاصة "الزوايا"، "السعيد بن زكري" من خلال مؤلفه "أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" سنة 1903م، وكذلك الشيخ "عبد القادر

¹ - بن سماية، "القوة الجاذبية"، المغرب، ع 04، 21 أبريل 1903م.

² - كحول، "ملاك الشيمة الأدب"، كوكب إفريقيا، ع 67، 12 مارس 1909م.

³ - بن قدور، "نحو المستقبل"، الفاروق، ع 40، 12 ديسمبر 1913م.

⁴ - نفسه.

المجاوي" الذي أولى موضوع التعليم عناية كبيرة، وذلك من خلال جهوده التربوية والتعليمية في المدارس الرسمية في قسنطينة وفي مدينة الجزائر، وكذلك من خلال مؤلفاته وكتابه الصحفية. وأهم ما كتبه في الموضوع كتيبه "إرشاد المتعلمين" سنة 1877م الذي أحدث به ضجة وجدلا واسعا في الأوساط الاستعمارية نتيجة الأفكار القيمة التي يحملها ودعوته الصريحة للمسلمين الجزائريين للأخذ بأسباب النهضة والتقدم.

ومن خلال فصول "إرشاد المتعلمين" والمقالات التي كتبها خاصة في جريدة "المغرب"، دعا "المجاوي" المسلمين إلى ضرورة الاهتمام بكل العلوم سواء الدينية أو الدنيوية، فالعقل في نظر المجاوي "أن يأخذ من كل فن أحسنه". وفي محاولة منه لشحذ همم المسلمين، والرد على بعض المستشرقين الذين رموا العرب والمسلمين بالجمود أشار "المجاوي" إلى دور وإسهامات العرب والمسلمين في تطوير علم الطب والعلوم الأخرى، مبيناً أن منشأها كان إسلامي ثم وصلت إلى أوروبا بعد اتصاهم بالمسلمين في الحروب الصليبية¹. والظاهر أن الدعوة إلى الانفتاح على كل العلوم العصرية وعدم الاكتفاء بالعلوم التقليدية نجدتها في خطابات أغلب رواد النهضة مثل "بن سماية" و"بن الموهوب" و"عمر بن قدور الجزائري" و"عمر راسم"² وغيرهم.

"فابن سماية" أشار إلى أن جميع العلوم نافعة للإنسان، ويفسر التطور الذي وصلت إليه الإنسانية بالاهتمام بجميع العلوم سواء الدينية أو الدنيوية، ويبرز فوائد بعض العلوم قائلا: "... فعلم الصرف والنحو يحفظ التراكيب والمفردات من الخلل وعلم البلاغة لعلم أسرار التراكيب وعلم الخط للترزين وعلم الشعر والقريض للتأثير على القلوب وعلم الكلام للاعتقاد الحق ومعرفة النفس ما لها وما عليها... ومصطلح الحديث لمعرفة الموضوع من الصحيح من الأصول ومعرفة الفلك للاهتمام بها في الأوقات والأسفار، ومعرفة الجغرافيا لمعرفة مواقع البلدان وما فيها ومواقعها وأبعادها، ومعرفة الحساب لإحصاء الأعداد أو تفريقها إلى غير ذلك من العلوم التي لا بد منها في قوام الإنسان والحيوان والبيطرة، وما يتعيش به الإنسان يجلب له الأرزاق كعلم الفلاحة وعلم الصناعة والخبرة بمواد التجارة وعلم الاقتصاد..."³.

أما "المولود بن موهوب" فكان من خلال كتاباته الصحفية أو في دروسه سواء في المدرسة الرسمية بقسنطينة، أو في نادي صالح باي ينتقد بشدة نفور الأهالي من التعليم الحكومي، ففي إحدى مقالاته، يقف موقف المتعجب من حال مسلمي الجزائر المنغمسين في الجهل والمدارس الحكومية بما أفراد يعدون على الأصابع، وما يزيد تعجبه أن الإسلام يدعو إلى التعلم ولو من الأجنبي، مستشهدا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم "الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أتى وجدها" وقوله (ص): "خذ الحكمة من

¹ - العلوم الدينية في نظر المجاوي فرض عين على كل متعلم، فيها يستقيم خلقه، لأن العالم غير المتخلق وغير المتحلي بالفضيلة أثره منقطع، فكثير من العلماء حسبه "نبغوا في عدة فنون علمية ومع هذا فلا عمل لهم يتبع ذلك... فلا علم إذا لا أخلاق فيه..."، انظر:

- المجاوي، "العلم"، المغرب، ع 12، 19 ماي 1903م.

² - كان راسم يعتقد أن التعليم هو السبيل الوحيد لرفع الظلم عن المسلمين "في ذلك الميدان الفسيح ميدان العلم والرقى، ليقف كل مسلم متعلم في وجه أولئك المتطوعين لنصرة المبادئ الظلمة التي تشوه الوجوه الاجتماعية السائدة قائلاً، لتحى العدالة، لتحى الإخاء، لتحى المساواة، ليقبر التفضيل والتخصيص..."، للمزيد أنظر:

- راسم، "الإنسانية تتعذب"، المصدر السابق.

³ - ابن سماية، "القوة الجاذبية"، المغرب، ع 03، 17 أبريل 1903م.

أي وعاء خرجت"، وقوله تعالى: "ولا تنس نصيبك من الدنيا"، وقوله عليه السلام: "ليس خيرهم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه بل خيركم من أخذ من هذه وهذه"¹.

وهذا ما نلمسه كذلك في كتابات "ابن قدور" الذي بين أهمية العلوم وشبهها في تنبيه الإنسان وتحريك حواسه ومداركه بالتيار الكهربائي المحرك لمختلف الآلات، وفي هذا يقول: "...فكذلك عوامل العلوم مع اختلاف طبائع البشر تنبه وتدير وتحرك مداركهم الروحية فتلهب منهم مشاعر اليقظة..."². فالتقدم والرقي في نظر "ابن قدور" مبني على أساس العمل "والعمل مؤسس على العلم والعلم لمن ناله الغاية القصوى، واللذة التي لا تنتهي..."³.

وهذا ما أكدته كذلك "المولود الزريبي" في جريدة "الصديق" مستشهداً "بالشهاب الفرابي" الذي قال: "...أن العلوم والفنون يمد بعضها بعضاً فمن غاب عنه فنٌ فقد غاب عنه نور فيما هو يعلمه وحينئذ لا يكمل النظر إلا بالشمول وذلك أن النحوي الذي لا يحسن الفقه ولا المعقولات تجده قاصراً في نحوه بالنسبة لمن يعلم ذلك... ولا ينكر أحد أن القطر الجزائري وإن كان فيه عالمون ومهذبون إلا أن لسان حاله يستزيد ويستفيد..."⁴.

أما "عبد الحفيظ بن الهاشمي" فإنه أكد أنّ القطر الجزائري مثلما هو في حاجة للتقدم والرقي، فهو في حاجة ماسة إلى التعليم، فالمسألة خطيرة في نظره لا يمكن السكوت عنها "فإنها النقطة الوحيدة التي عليها مدار المستقبل وهي التي عليها المعول في نهضتنا القومية وحياتنا الاجتماعية"، ودعا الأولياء إلى ضرورة إرسال أبنائهم إلى المدارس دون الاكتراث لنفقات التعليم، فيقول: "...ومن تأمل في الحقيقة يبدو له جلياً أن النفقات التي تصرف في سبيل تعليم الأبناء ليست بالشيء الذي يذهب سدى فإن ترقية الأبناء وتهذيب أخلاقهم أمر تقر به الأعين وتحمد معه العاقبة..."⁵.

في حين نجد "محمد الرزقي الشرفاوي" يؤكد أن نهضة الشعوب لا تكون إلا بالتعليم، وأن الشعب المتعلم لا يستعمر ولا يستعبد، ويقول في ذلك: "...إذا تأملنا ماضي الشعوب ماضيها وحاضرها فلا نجد شعباً ناهضاً إلا وجدنا أساس نهضته العلوم، كما لا نجد شعباً متدهوراً إلا وجدنا سبب تدهوره الجهل وما يتبعه من الأمراض، لذلك لا يرتاب عاقل في أن العلوم أساس النهوض وبها حياة الشعوب وسعادتها ورفيها... فمن المحال أن تموت الشعوب المتعلمة ومن المحال أن يستهان بها وتسلب حقوقها ويداس على كرامتها..."⁶.

لم يكتف رواد النهضة بوصف الحالة المتردية للتعليم، أو بالدعوة إليه فقط، فالكثير منهم حاول تجسيد كتاباته في الواقع وذلك من خلال التعليم المسجدي وتأسيس العديد من الجمعيات والنوادي التربوية، فكان "ابن الموهوب" عضواً فاعلاً في نادي "صالح باي" في قسنطينة منذ تأسيسه سنة 1907م، و"ابن قدور" تولى إدارة "مدرسة الشبيبة الإسلامية" منذ 1927م إضافة إلى توليه لمهمة التدريس بها، وكان حسب قول أحد المعاصرين: "...أستاذاً مخلصاً حسن الأخلاق كبير المهمة كثير الاجتهاد في تلقين

¹ - ابن الموهوب، "ضرر المسلمين من أنفسهم"، المغرب، ع 15، 29 ماي 1903م.

² - ابن قدور، "الاسترشاد بالعلم والاستقلال"، جريدة وادي ميزاب، ع 39، 15 أوت 1927م.

³ - ابن قدور "منبر العبر، المرشدون"، الأخبار، ع 12647، 11 سبتمبر 1910م.

⁴ - الزريبي، العلوم والمعارف، الصديق، ع 10، 15 نوفمبر 1920م.

⁵ - ابن الهاشمي، "حول التعليم، إهماله لدينا ووجوب اهتمامنا به"، النجاح، ع 127، 28 سبتمبر 1923م.

⁶ - الشرفاوي، "العلم أساس النهوض وحياتنا الشعب"، النجاح، ع 127، 28 سبتمبر 1923م.

التلاميذ بمعارفه المحكمة وإرشاداته...¹. وحسب نفس المصدر، كان "بن قدور" يسعى من وراء ذلك إلى تثبيت أفكاره، ونشر تعاليمه "...وقد خطى خطوات عظيمة في ذلك...²، ولكن في سنة 1927م ترك المدرسة لأسباب نجعلها وأسس مدرسة قرآنية ذات نظام عصري، ليخلفه في إدارتها "محمد العيد آل خليفة"³.

ولعل أبرز من جسد المشروع على أرض الواقع "النخبة الباديسية"، بداية بالشيخ "ابن باديس" الذي كرس كل جهوده للتربية والتعليم من خلال دروسه في "الجامع الأخضر" بفسنطينة منذ أبريل 1914م، والتي استقطبت جموعاً غفيرة من طلبة العلم من كل أنحاء القطر وصل عددها حسب تقديرات "ابن باديس" نفسه ألفي طالب في كل ليلة شكلوا النواة الحقيقية للتعليم العربي الحر في الجزائر.

وبعد التفاف علماء الجزائر حول "ابن باديس" منذ تأسيس جريدة المنتقد سنة 1925م التي كانت بمثابة النادي الذي لم تشمل شيوخ وعلماء الجزائر من كل منطقة من قطر الجزائر أصبح التعليم العربي الحر من أولويات النخبة "الباديسية"، حيث جعلت منه أحد الأبعاد الرئيسية لجريدتها "المنتقد"، وأكدت أنها سوف تعمل جاهدة على نشر مختلف العلوم والآداب الصحيحة التي تحتاج إليها العقول، بهدف استقامة أخلاق الأمة.

وفعالاً لا تكاد تجد عدداً من أعداد المنتقد والشهاب فيما بعد، إلا وينبّه إلى أهمية التعليم في أي مشروع نهضوي. والملاحظ على النخبة الباديسية أنها لم تكتف بالدعوة فقط، بل عملت جاهدة على تجسيد مشروعها في الميدان، من خلال عديد المدارس الحرة التي أسست، وكذلك الجمعيات والنوادي وذلك نتيجة جهود عشرات المعلمين الذين وصفهم "سعد الله" "بالجنود الذين انتشروا في الجزائر يعلمون القرآن واللغة العربية وعلوم الدين بأسلوب عصري وأماكن جديدة وروح متحمسة للمستقبل".

5. خاتمة:

من خلال ما تقدم نلاحظ بأن موضوع التربية والتعليم قد شغل حيزاً كبيراً من اهتمامات الصحافة الإصلاحية منذ مطلع القرن 20م، فكان رواد الإصلاح يعتقدون أنه لا سبيل للنهضة دون الاهتمام بالتعليم، فهو الكفيل بإخراج المجتمع من غياهب الجهل إلى النور، وبه يستفيق المجتمع من سباته العميق ويتمكن من مواجهة مشاريع الاستعمار، فالشعب المتعلم في نظرهم شعب واع لا يستعبد والعكس صحيح.

كما أن تحليل مضمون ما كان يكتب في صحافة رواد الإصلاح، يجعلنا ندرك تأثرهم بفلسفة "محمد عبده" الإصلاحية، إذا كانوا يهتمون بالجوانب التربوية والدينية والاجتماعية، ويعرضون عن المسائل السياسية إلا نادراً.

ولعلّ أهم ملاحظة من خلال كتابات رواد الإصلاح أنهم لم يكونوا جامدين كما كانت تتهمهم الإدارة الاستعمارية وبعض من أذناهم من المتفرنسين، بل دعوا إلى تعليم عصري، يقوم على الأخذ بإيجابيات الحضارة الغربية خاصة جانبها المادي، وهذا ما

¹ - أ/ الأكل، "المعلمون والتعليم"، الشهاب، السنة 4، ع 147، 20 نوفمبر 1928م.

² - نفسه.

³ - نفسه.

نلمسه خاصة عند الشيخ عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية في جريدة المغرب وعمر بن قدير في جريدة الفاروق والصديق، الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة "المنتقد" ومن بعدها الشهاب.

6. قائمة المراجع:

• الأرشيف:

- A.N.T, SERIE, E, Carton, 532, DN° 2/ 11.
- Relations entre Les Nationalistes Algériens et Tunisiens, in: A .N.T,M N C/9 D2.

• الدوريات والجرائد:

- كوكب إفريقيا، ع 1، 17 ماي 1907م.
- جريدة الصديق، ع 01، 12 أوت 1920.
- الصديق، ع 52، 06-03-1922.
- الفاروق، ع 96، 27 جانفي 1915م.
- مجلة الفاروق، ع 1، 8 أكتوبر 1920م.
- المنتقد، ع 1، 02 جويلية 1925م.

• المؤلفات:

- دبور محمد علي، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج 1، ط 2، م.ش.ج، الجزائر 2007م.
- ثنيو نور الدين، الحركة الإصلاحية الجزائرية، بحوث ووثائق، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2018م.
- ساحل عبد الحميد، أصول الفكرة الإصلاحية من خلال الصحافة الجزائرية 1903-1925م، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2000م-2001.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.
- قرين مولود، عمر بن قدير الجزائري ودوره في الحركة الوطنية، ج 1، مطبعة الخليل العلمية، الجزائر، 2013م.
- ناصر محمد، عمر راسم المصلح الثائر، دط، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1984م.
- ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط 2، ألفا ديزاين، الجزائر، 2000م، ص 30.

الأجنبية:

- Sarri Ahmed, Histoire et politique L'Association des Ulama Musulmans Algériens et l'administration française en Algérie 1931-1956, pr : Allaoua Amar, Dar Elhouda, Algérie.

● المقالات:

- أ/ الأكحل، "المعلمون والتعليم"، الشهاب، السنة 4، ع 147، 20 نوفمبر 1928م.
- بن دالي كحول، "ملاك الشيمة الأدب"، كوكب إفريقيا، ع 67، 12 مارس 1909م.
- بن قدور عمر، "نحو المستقبل"، الفاروق، ع 40، 12 ديسمبر 1913م.
- ابن قدور، "الاسترشاد بالعلم والاستقلال"، جريدة وادي ميزاب، ع 39، 15 أوت 1927م.
- ابن قدور "منبر العبر، المرشدون"، الأخبار، ع 12647، 11 سبتمبر 1910م.
- بن سماية عبد الحليم، "القوة الجاذبية"، المغرب، ع 04، 21 أبريل 1903م.
- ابن سماية، "القوة الجاذبية"، المغرب، ع 03، 17 أبريل 1903م.
- بن الهاشمي عبد الحفيظ، "حول التعليم، إهماله لدينا ووجوب اهتمامنا به"، النجاح، ع 127، 28 سبتمبر 1923م.
- الجاوي عبد القادر، "التربية"، كوكب إفريقيا، ع 34، 3 جانفي 1908.
- الجاوي، "العلم"، المغرب، ع 12، 19 ماي 1903م.
- بن الموهوب المولود، "ضرر المسلمين من أنفسهم"، المغرب، ع 15، 29 ماي 1903م.
- الشرفاوي، "العلم أساس النهوض وحياة الشعب"، النجاح، ع 127، 28 سبتمبر 1923م.
- الزرربي مولود، العلوم والمعارف، الصديق، ع 10، 15 نوفمبر 1920م.
- الجيلالي عبد الرحمان، "جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي و الثقافي"، مجلة الأصالة، ع 13، مارس-أفريل 1973م، ص 199 وما بعدها.
- تركي رابح عمامرة، "مجلة الشهاب للشيخ عبد الحميد بن باديس لسان الإسلام والعروبة في الجزائر (1925م-1939م)"، مجلة الذاكرة، ع 05، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، أوت 1998م، ص 119.
- لونيبي إبراهيم، "محمد بن مصطفى بن خوجة: حياته وأفكاره (1865-1915م)"، مجلة عصور، ع 2، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، ديسمبر 2002م، ص 60.